

## الفصل الثالث

### حرب ١٩٦٧م وما بعدها

أدى إعطاء الإدارة المصرية أوامر إلى قوات الطوارئ الدولية بالانسحاب إلى تهيئة الوضع للحرب وفعلاً بدأت قوات الطوارئ الدولية بالخروج من القطاع، وبدأت أجهزة إعلام الحكومة المصرية ونظام عبد الناصر شن حرب عسكرية بالكلام وشكلت إذاعة صوت العرب منصة صواريخ دعائية يقودها المذيع أحمد سعيد ببراعة لدرجة شددت أحاديثه أسمع أهالي القطاع وحفرتهم صور الإعلام المصري آنذاك أن إسرائيل لن تصمد أمام القوات المصرية التي كان التلفزيون المصري يصور تحركاتها في شوارع القاهرة أثناء مرورها إلى سيناء واعتقد الناس أن الجيش المصري لن تزيد معاركه عن نزعات وبدأ الناس يتحدثون عن تل أبيب وشوارعها والقدس ومقدساتها وكانت أغنية «عبد الناصر يا حبيب بكرة حن دخل تل أبيب» معبرة تعبيراً قوياً عن وضع تفكير الناس وارتبط الناس أكثر فأكثر بشخصية عبد الناصر وقد ساعدت الدعاية التي صاحبت ضربة الإخوان عام ١٩٦٥م على تحجيم دور الإخوان ونشاطهم لدرجة أنهم كانوا لا يجرؤون على الإعلان عن أنفسهم إذ أصبحوا مباشرة متهمين بالعمالة لأمريكا وكان من الممكن أن يبطش بهم الناس بدون أية مقدمات.

أصبحت حركة الإخوان تماماً كمن يتحرك في حقل الغام متقارب الكمان ولم يجدوا طريقاً غير طريق الدعوة الصرفة إلى الله مع إلغاء الاسم والعنوان. في هذه الآونة وقعت الحرب ووقعت النكسة ومنيت الجيوش المصرية والأردنية والسورية بهزائم ثقيلة وغير متوقعة وامتدت السطوة الإسرائيلية إلى القطاع والضفة وسيناء والجولان وأصيب الناس بانتكاسات نفسية قوية وإحباط شديد وأسقط في أيديهم وانتزعت الثقة في عبد الناصر وما ينادي له من فكر قومي لدى عامة الناس ولكن لم يكن لديهم غير عبد الناصر إذ لا زالت شخصيته التي أصبحت محطمة بعد الحرب لا زالت موضع أنظار الناس إذ أن الناس كانوا بحاجة إلى منقذ.

وجاءت معركة الكرامة بين الجيش الإسرائيلي وقوات الفدائيين الفلسطينيين والجيش الأردني فاتحة عهد جديد إذ قوت الثقة في حركة المقاومة الفلسطينية

وأصبح هناك اتجاه للاعتماد على الذات في إحياء القضية الفلسطينية، لذلك ازدادت العمليات العسكرية واتجهت معظم القوى السياسية على الساحة الفلسطينية لتشكيل فصائل عسكرية تقوم بمثل هذه المهام، وجاء توحيد الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال تعويضاً نفسياً عن أثر المصيبة التي حلت بالفلسطينيين، إلا أن الأمر البارز هو أن كثيراً من القناعات الشعبية قد تغيرت أو في طريقها إلى التغيير خاصة بعد الاتصال الجماهيري بين الضفة والقطاع وبعد أن ظهرت بعض خيانات الأنظمة العربية وإثبات عدم قدرتها على تحقيق مطالب شعوبها ومطالب الشعب الفلسطيني.

وفر هذا المناخ الجديد ظروف أكثر ملائمة لعمل الإخوان، ولم يضيع الإخوان الفرصة على الرغم من الظروف الصعبة إذ أن اعتقادهم بأن نفسية الإنسان الفلسطيني قد حطمت إثر الهزيمة وزاد هذا من ثقل المهمة أمامهم، إذ أن الإنسان في مثل هذه الأحوال نادراً ما يتجاوب مع أية أفكار أو حركات لأن ثقته قد اهتزت في كل ما يحيط به.

أما الحكومة الإسرائيلية فلم تعر وجود الإخوان في قطاع غزة أهمية كبيرة إذ أن الملفات التي تركتها الحكومة المصرية وراءها واستولت عليها سلطات الاحتلال<sup>(١)</sup> قد أكدت لها أنهم ضعفاء وأن الموجودين منهم لم يزدوا على أصابع اليدين ويقول أبو أيمن طه: «لقد ترك رجال السلطة المصريون الملفات كاملة في أيدي اليهود فاتضحَت الصورة كلها أمام سلطة الاحتلال خلال أيام قليلة ولم تتعب السلطة في البحث عن فلان وفلان وإنما وجدوا ملفات جاهزة فعرفوا الأوضاع.. لم يبق شيء خافياً عليهم ومما يؤكد ذلك أنهم استدعوا عدد من شخصيات الإخوان، أذكر من الذين استدعوا في أوائل فترة الاحتلال ذياب البريناوي، موسى صايه، أخي الشقيق عز الدين طه، وحدثوهم على الكشوف مؤكدين أنهم يعرفون كل شيء عنهم وأن الملفات جاهزة ولم تكن هذه أول مرة نسمع بها عن أن الملفات وقعت في أيديهم بل أن قولهم هذا زادنا تأكيداً من هذه الحقيقة المرة وصار ضباط المخابرات الإسرائيلية يحدثون الشخصيات الإسلامية عن بعض من نشاطاتهم

أثناء اللقاءات من خلال الملفات فإذا لم تكن الأمور دعاية... فإن كانوا تركوها قصداً فهي مصيبة وإن تركوها من غير قصد فالمصيبة أعظم أن يصل الإهمال إلى هذا الحد<sup>(٢)</sup>.

وقد أدركت سلطات الاحتلال أن الدعاية الناصرية ضيقت المجال على تصرفات الإخوان من خلال اتهاماتها لهم على أنهم عملاء وأمريكا، ثم إن الاتصالات بالخارج كانت صعبة في بداية الاحتلال وتدرّك السلطة أن أي نشاط جماعي يحتاج إلى إمكانيات لم تتوفر لدى الإخوان في الداخل.

ومن الأمور المهمة هو أن السلطة كانت مشغولة بترتيب الأوضاع في المناطق التي احتلتها ثم شغلت أكثر بعد ذلك في مواجهات رجال المقاومة الفلسطينية الذين تزايد نشاطهم في ساحة القطاع وإسرائيل والضفة الغربية ولم تنظر إلى أي نشاط ديني بمنظار الخطورة حتى لا تخدش صورتها الديمقراطية التي تحاول رسمها أمام الخارج.

وهناك بعض النظريات الخاطئة التي حاولت تفسير موقف السلطة من الحركة الإسلامية بثتها الأجهزة الإعلامية الإسرائيلية بعد أن وضعت جذورها الثقافية من خلال تصريحاتها وإيحاءاتها، هذه النظرية تقول أن السلطة قد عملت أساساً على تنمية وجود الحركة الإسلامية من خلال الإغفال وإغماض العين عن نشاطاتها حتى تقلل من تأثير المقاومة الفلسطينية المسلحة وحتى توجد منافساً جماهيرياً آخر لمنظمة التحرير وقد سميت هذه النظرية بنظرية التوازن ولكن هذا التصور أثبت أنه خاطيء من أساسه.

إذ أن الدروس التاريخية أكدت أنه من الصعوبة بمكان السيطرة أو استيعاب الجماعات الدينية على الرغم من المحاولات الاستعمارية وقد ظهر ذلك واضحاً في تعامل الاستعمار الفرنسي مع حركة عبد الحميد بن باديس في الجزائر والاستعمار الإيطالي مع حركة عمر المختار في ليبيا وغيرها الكثير من المحاولات وربما أبرزها محاولات الحكومة البريطانية الفاشلة لإسكات قوات المقاومة الإسلامية التي قادها الإخوان في قناة السويس وضافها.

لذا فالمنطقي أن السلطة لم تكن تريد هما جديداً إلى هم المنظمات الفلسطينية التي بدأت تأخذ عملياتها تصاعداً أقلق ساسة العدو وجنرالاته، ولو أرادت السلطة دق الأسافيق في أوساط المقاومة من خلال التيار الإسلامي لقامت بدورها بين المنظمات الفلسطينية نفسها التي اختلفت أيديولوجياتها ووسائلها وأحجامها وهذا ما حدث فعلاً في مراحل لاحقة إذ كانت الظروف مهيأة لذلك.

لكن من الواضح أن السلطة فوجئت فيما بعد بتحول الحركة الإسلامية إلى النشاط الاجتماعي والسياسي في المجتمع الغزي من خلال محاولتها التأثير في سير المؤسسات التعليمية والصحية التي تتعامل مع الجمهور بحيث تظهر الصبغة الإسلامية في هذا التعامل مما يسهل وصول رسالة الإسلام إلى الناس ليس في المساجد فقط ولكن في كل مكان يمكن الوصول إليه.

وعندما حدث ذلك اتجهت السلطة دائماً لإحباطه ووقفت دائماً في الصف المعادي للحركة الإسلامية ولم تترك فرصة واحدة تضيعها لإضعاف الحركة الإسلامية إلا واستغلتها وربما إغلاق المؤسسات الصحية والاجتماعية المنبثقة عن المجمع الإسلامي لاحقاً لحير دليل على ذلك في الوقت الذي يسمح فيه للكثير من الجهات جمعيات صحية واجتماعية في كل مكان في القطاع والضفة.

إن القائلين بنظرية التوازن وقعوا في كمين نصبته لهم السلطة إذ أرادت الإدارة العسكرية تبرير فشلها في متابعة نشاطات الحركة الإسلامية وفشلها في تحويلها إلى النشاطات غير الدينية، إذ ماذا كان الضمان لدى السلطة أن تبقى العلاقة بين الحركة الإسلامية ومنظمة التحرير علاقة تنافس واحتكاك ولن تتطور إلى التحالف أو الاحتواء.

والشيء الجدير بالذكر هو أن قوى الاحتلال والاستعمار كانت دائماً تحاول أن تبعد مفاهيم الجهاد المرتبطة بالإسلام ومحاولة بريطانيا خلق الطائفة البهائية وإحياء الطائفة الاسماعيلية في الهند وغيرها من الحركات الإسلامية التي فصلت أجهزة المخابرات البريطانية عقيدتها المحرفة والتي تستبعد الجهاد في

سبيل الله شاهد على ذلك، لذلك لم يكن في صالح أي قوة احتلال أن تسهم في إحياء أو تنشيط أية جماعة إسلامية تضع الجهاد ضمن الاعتبارات الدينية والمتتبع لتصريحات الساسة الإسرائيليين بعيد دخول حركة الإخوان في معارك ١٩٤٨م والتي تظهر خطورة هذه الجماعة وخطورة إعلان الجهاد في سبيل الله ضد قوى الاحتلال إنما يؤكد على أن إسرائيل لا يمكن أن تشارك مطلقاً في مثل هذه الخطوة التي لا يمكن أن تعد إلا جريمة من وجهة نظرها.

### القيادة الجديدة

يقول الأستاذ داود أبو خاطر: «كان رياض الزعنون»<sup>(٣)</sup> هو مسؤول الإخوان من عام ١٩٥٥م - ١٩٦٥م إلى أن أثر عليه إخوانه فسافر إلى الكويت ليلتحق بصفوف الثورة الفلسطينية واستلم القيادة بعده إسماعيل الخالدي الذي بقي حتى عام ١٩٦٨م وقد حدثت جلسة عام ١٩٦٦م في أرض للدكتور خيرى الأغا الذي جلس في هذه الجلسة ممثلاً للإخوان في السعودية وأبو يوسف النجار عن إخوان الإمارات وإسماعيل الخالدي عن إخوان القطاع هو وأعضاء آخرون وفي هذه الجلسة تبلور تنظيم الإخوان الفلسطينيين المتكامل العام وقد حضر هذه الجلسة إثنا عشر فرداً واختير هاني بسيسو الذي استشهد فيما بعد في السجن الحربي المصري ليكون مسؤولاً عاماً للتنظيم وإسماعيل الخالدي ليكون مسؤولاً عن تنظيم مصر والقطاع»<sup>(٤)</sup>.

أدت ضربة ١٩٦٥م لحركة الإخوان في كل من مصر والقطاع إلى انفراط عقد قيادة الإخوان وإن ظل السيد إسماعيل الخالدي هو المسؤول عن أجهزة الدعوة ولكنه مسؤول بدون مسؤولية لأن مجمل النشاطات كانت قد جمدت.

عام ١٩٦٨م خرج السيد إسماعيل الخالدي إلى الخارج وهو وبعض من قيادات الحركة الآخرين ووجهها وتركت الدعوة بلا قيادة وأدرك الباقون أنه لا بد من وجود قيادة لضبط العمل وتوجيهه، لذلك اجتمعت مجموعة من قيادات الحركة في منطقة العسكرات الوسطى لاختيار القائد الجديد للحركة الإسلامية وقد وقع

الاختيار على الشيخ أحمد يابسن إذ أن الشيخ كان من خلال نشاطاته وتكوينه للقيادات الشابة أكثر الموجدون تأثيراً عليهم وأكثرهم قدرة على ضبط الأمور لأنه كان أكثرهم معرفة بالجيل الجديد وأكثرهم نشاطاً وقدرة على تكريس جهد أكبر ولم يكن الاختيار للشيخ أكثر من مجرد تأكيد الأمر إذ أن معظم رجال الدعوة والمنتمين إليها قد تخرجوا من مدرسته وقد كان القائد الحقيقي لهم وكان أي قائد غيره سيجد صعوبة في التواءم معهم، لذا فقد شكل الشيخ مفتاح الأمان لحركة الدعوة في تلك المرحلة.

شكل الشيخ أحمد الهيئة الإدارية الجديدة وأضاف إليها طاقات شابة جديدة بحيث كانت تشمل جميع مناطق القطاع وكانت تجتمع مرة كل شهر وكان يرأسها الشيخ ويشارك إخوانه في ذلك بحيث كان يترك رئاسة الجلسة في كل مرة لشخص جديد<sup>(٥)</sup>.

كان الشيخ أحمد يعرف وضع الدعوة تماماً من خلال متابعتها لجهود الأخوة الكبار والقدماء في الحركة وكان يدرك مدى الجمود الذي لحق بأجهزة الدعوة ورجالاتها ونشاطاتها ولم يكن يعجبه ذلك مطلقاً، لذلك أراد تحقيق نقلة نوعية في الدعوة وفعاليتها، لذلك جمع مجالس النقباء في القطاع وقال لهم: «أنا لا أقتنع بالقول أننا جلسنا وقرأنا القرآن وتدارسنا فليس هذا هو العمل المطلوب فقط، إن العمل المطلوب هو بث الدعوة الإسلامية وعدم قصرها على الإخوان فقط»<sup>(١)</sup>.

لذلك ولتحقيق أفكاره قام بتغيير كل مجالس النقباء في القطاع واستبدل قياداته القديمة بقيادات شابة وبدماء جديدة وخاصة ممن يعرفون بنشاطهم، أما المناطق التي لم يكن فيها وجود للإخوان فقد طلب الشيخ من بعض الشباب النشطاء الانتقال من أماكن سكنهم إلى هذه المناطق، لذا انتقل مصطفى أبو القمصان الذي كان يعمل مدرساً بالوكالة من المعسكرات الوسطى إلى جباليا وانتقل سيد أبو مسامح من رفح إلى مدينة خانيونس وغيرهم الكثير فأرسل بذوراً طيبة في جميع مناطق القطاع أسفرت فيما بعد عن تنامي هذه البذور ونشر فكرة الإخوان.

وقد حمل الشباب الناشئ عبء الدعوة وشكل منهم مجالس ووزع عليهم مهام الخطابة والدعوة في المساجد وبدأ اتجاه الدعوة يذهب نحو الاعتماد أكثر فأكثر على عنصر الشباب الذي كان لديه حماس كبير للعمل الإسلامي واستطاع الشيخ حتى أن يغطي الساحة المصرية حيث وزع الكثير من الإخوة في مختلف المحافظات كي يستقطبوا الشباب الفلسطيني الدارس في جمهورية مصر العربية.

أما الإخوة القدامى والوجوه المعروفة في الدعوة الإسلامية فقد أوجد لهم أعمال تلائم مكانتهم إذ تم استحداث لجان متعددة كلجان الصلح والزكاة وغيرها من اللجان التي تلائم قدراتهم وكان يطلب منهم الاتصال بالكبار من رجالات المجتمع والفئة المؤثرة في حياته كالتجار والعلماء وغيرهم<sup>(٧)</sup>.

اتجه الشيخ للإنطلاق بالدعوة من المساجد إذ تركزت معظم أعمال الدعوة في المساجد، سواء الجلسات أو الحلقات أو المواعظ أو المحاضرات أو الدروس الدينية التي تعقب كل صلاة تقريباً، وقد كان الاهتمام بدور المساجد قد أضفى النجاح على نشاطات الشيخ وإخوانه لأنها ملتقى الناس للصلوات ويدخلها جميع الفئات والأعمار، لقد أراد الشيخ أن يعيد للمسجد دوره الذي أخذه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يعقد فيه جميع الأمور التي تخص المسلمين وتقرر فيه جميع القرارات سواء الصغيرة منها أو الكبيرة وقد كانت تنطلق منه جميع الغزوات.

### الاتصال بالضفة الغربية

كان لوقوع الضفة الغربية وقطاع غزة تحت الإدارة والحكم الإسرائيلي أثر فعال في جميع نواحي الحياة في المنطقتين وابتدأ التواصل بين السكان وبدأت روابط القربى والإحساس بوحدة المشاكل تجمع الناس هنا وهناك فكانت الحادثة التي تقع في الضفة تجدد لها صدى في القطاع والحادثة التي تقع في القطاع تجدد لها صدى في الضفة، لقد ساعد هذا على تنمية إحساس الشعب الفلسطيني بوحدته حتى



وإن كان ذلك تحت ظل الاحتلال وكان من الطبيعي في مثل هذه الظروف أن تلتقي القيادات والقوى المشابهة في كلا المكانين لتوحد قواها وتنظم نشاطاتها وانطبق هذا على الإخوان أيضاً إذ شعروا منذ الوهلة الأولى بضرورة خلق رابطة مع إخوان الضفة وجاءت المبادرة من القطاع إذ انطلق وفد يرأسه إسماعيل الخالدي إلى الضفة الغربية بعد أن حضر لهذه الرحلة في القطاع وكانت قيادة القطاع لا تعلم أي شيء عن الإخوان في الضفة ولا علاقة لها لأنها نفسها كانت في المرحلة السابقة مقطوعة عن العالم ثم إن التنظيم العالي للإخوان لم يكن قد تكون بعد، لذلك كان لا بد من تحديد الهدف.

يقول الشيخ حماد الحسانات: «لم يكن تنظيم الضفة الإخواني معروفاً لنا ولذلك فكرنا كيف نربط بيننا وبينهم بعد أن أصبحت ظروفنا متشابهة فتذكرنا أنه كانت عند الحكومة الأردنية قبل ١٩٦٧م إنتخابات وسمعنا أن مرشح الإخوان في منطقة الخليل كان الدكتور حافظ عبد النبي النتشة الذي نجح في تلك الانتخابات فمن هذا الاسم أخذ منطلقنا لعملية الربط بيننا وبينهم فذهبت مجموعة من الإخوة، وزارت الدكتور في عيادته وصارحته فوجهها إلى بعض الإخوة في نابلس ومنذ ذلك اليوم تم اللقاء»<sup>(٨)</sup>.

اتضح للوفد أن نفس تنظيم الإخوان في الضفة لم يكن متماسكاً وأنه لا توجد علاقة رسمية بين الإخوة في الخليل مثلاً ونابلس أو القدس أو غيرها من المدن وإن كانوا يعرفون بعضهم بعضاً ولما كان تنظيم غزة على خبرة بالعمل التنظيمي السري فقد أطلعوهم على طريقة العمل في القطاع وأوصلوهم منهمجهم وطلبوا منهم تنظيم أنفسهم وفعلاً تم ذلك وأصبح هناك لقاء شهرياً وأخذوا بتبادل الزيارات بين الضفة والقطاع وبعد ذلك انتظمت اللقاءات وكلف إخوان الضفة بربط تنظيم الإخوان الفلسطيني الموحد بتنظيم الإخوان في الأردن وسار هذا الوضع حتى قيام الانتفاضة.

كان وضع تنظيم الإخوان في الضفة الغربية صعباً أيضاً وخاصة على الصعيد الجماهيري الذي كان متعاطفاً مع الدعايات المصرية وكانوا

مكروهين كما هم في القطاع في تلك المرحلة إذ دأب الناس على القول أن الملك ترك لهم دون غيرهم ممارسة العمل السياسي، وأنهم من أصدقاء الملك.<sup>(٩)</sup>

### الشيخ في العمل بعد عام ١٩٦٧م

تشرب الشيخ الدعوة حتى أصبحت صفة من صفاته، لذا كان طموحه لتنميتها لا حد له فهو يبذل كل وقته متحدثاً أو خطيباً أو مجالساً أو مناقشاً ومحاولاً حل مشكلة إخوانية أو مدرساً لبعض القضايا فإذا زرت بيته في ساعة من ساعات الليل أو النهار فلا تجده خالياً من الزائرين وليسوا زواراً لقضاء الوقت وإنما كل واحد في مهمة فهو ينتهي من واحد ليلتفت للآخر رغم الظروف الصحية الصعبة التي كان يعايشها.

فشغله الشاغل هو نشر الدعوة وتعميمها بين الناس ليس في القطاع فقط وإنما خارج القطاع أيضاً، فتراه ينظم طلاب الجامعة الذين في الخارج كما يربط بين العاملين في الدول العربية من القطاع ويتابع هذه الأعمال جميعاً ولذلك كنت إذا ما زرت بيته في معسكر الشاطيء تجد القادم من الدول العربية هذا بالإضافة إلى رحلاته إلى الضفة الغربية التي كان ينظمها هناك للدعوة في سبيل الله.

تميزت هذه المرحلة بأنها مرحلة بناء جسم الحركة الإسلامية وتراص لبناتها ووضع أسس قوتها ويقول الأستاذ أحمد بحر أن بيته «كان لا يخلو يوم من جلسة. وأذكر أننا كنا نتعلم القرآن الكريم بعد صلاة الفجر في المسجد الشمالي وكنت أذكر ذلك إذ كان عمري آنذاك ١٧ عاماً، وأذكر أنه كان يعطي درسين واحد بعد صلاة العصر والثاني بعد صلاة الفجر فإذا لم يقم هو بإعطاء الدرس يكلف أحداً غيره بذلك.

أما في بيته فقد كان متجه جميع الشباب يذهبون إليه ليسألوا الشيخ عن بعض المسائل ويستشيروه في أمورهم الدينية والاجتماعية والدعوية وفي أفراحهم وأتراحهم» ويضيف «إن هذه الحقيقة هي التي أعطت للشيخ أحمد

البعد الاجتماعي»<sup>(١٠)</sup>.

وقد ركز الشيخ اهتمامه بعنصر الشباب، لذلك كانت علاقاته بالشباب قوية جداً وكثيراً ما كان إخوانه يأخذون عليه تخطي الشباب للأعراف التنظيمية ويتجهون إليه مباشرة وخاصة في مراحل الدعوة الأولى عندما كان أفراد الدعوة قلة ومعروفون جميعاً للشيخ مما سبب في كثير من الأحيان إلى اضطرابات في العمل وقد كان يتم ذلك لأن الشباب كانوا يرتاحون إليه وكثير ما حدث في الاجتماعات الإدارية أن الشيخ يطرح مشاكل لا يعلمها مسؤولي المناطق أنفسهم مما كان يدفع بإداريي التنظيم إلى الاستغراب.

لقد شكل الشيخ للشباب أباً روحياً فكانوا يبثون إليه مكنون صدورهم ويجدون عنده ما لا يجدون عند غيره وهذه أمور تتعلق بجوانب تربوية تميز بها الشيخ عن غيره من إخوانه وهذه هي الأسباب التي ربما جعلت الشيخ يتقدم غيره في جميع الجوانب الدعوية والتنظيمية<sup>(١١)</sup>.

لم يقف دور الحركة الإسلامية في تلك المرحلة على المسجد ولكن تعداه إلى كل مجال من المجالات التي أمكن استخدامها لخدمة أغراض إيصال الدعوة إلى الناس وكان أول الأمور التي برزت بعيد ١٩٦٧م هي إحياء النشاطات الرياضية والرحلات والجلسات الاجتماعية والمخيمات.

فقد اتجه الشيخ لإعداد الملعب القريب من المسجد الشمالي والذي أصبح فيما بعد ملعب الجمعية الإسلامية وتنوعت الألعاب فيه ابتداءً من كرة القدم والسلة ثم ألعاب القوى الأخرى أما الرحلات فقد انقسمت قسمين: رحلات داخلية كان معظمها على البحر الغزي الجميل حيث كانت تذهب المجموعات وتقوم هي بإعداد الأكل جماعة وذلك حتى ينمي روح التعاون والعمل الجماعي بين الشباب المسلم والرحلات إلى داخل فلسطين المحتلة إذ أنه كان يجمع ٤٠ - ٥٠ شخصاً في باص واحد يدور طيلة النهار على القرى والمدن الفلسطينية ليذكر الركاب بالأرض السليبة التي كانت بالأمس ترفرف عليها رايات الإسلام فكان خط سير الباص يبدأ من عسقلان إلى حيفا ويافا والقدس والخليل وجميع المعالم

الجميلة في فلسطين وكان لا يمر الباص عن منطقة لها علاقة بتاريخ الإسلام إلا وكان المرشد السياحي المسلم يعطي نبذة عن هذه المنطقة وكانت تتخلل هذه الرحلات ندوات اجتماعية وسياسية ومسابقات دينية وعندما تحل صلاة الظهر أو العصر كان يتوقف الباص ليصلي الركاب جماعة ثم درس قصير لتستأنف الرحلة سيرها من جديد.

أما في أوقات الراحة والأكل فقد كانت تنظيم الحلقات الجماعية لربط الأخوة ببعضهم البعض، لقد كانت هذه الرحلات ضرورية جداً إذ أنها خدمت أكثر من هدف:-

أولاً: ربط الإنسان بأرضه وتاريخه وقديسية تراثه.

ثانياً: إيجاد روح التعاون والتكافل بين الركاب.

ثالثاً: تنمية روح الأخوة والتماسك بين المشتركين.

إلى جانب الأهداف الأخرى التي تتعلق بتعويد الشباب على العادات الإسلامية في السفر والاجتماعات ثم الفائدة المتعلقة بالمحاضرات التي كانت تعطى ثم تعويد المشاركين على أسلوب تنظيم الأفراد والجماعات وكانت الرحلات تدوم يوماً واحداً وأحياناً عدة أيام حيث يقوم الركاب بالمبيت في واحدة من القرى الفلسطينية.

قدمت حركة الإخوان للجماهير الغزية والفلسطينية البديل العملي لما كانت تقدمه الأنظمة العربية المهزومة سواء على الصعيد الفكري والروحي أو على الصعيد السلوكي وقد شكلت هزيمة ١٩٦٧م نقطة تحول بارزة في تاريخ الدعوة الإسلامية إذ بعد أن أفاق الناس من هول الصدمة بدأوا يتساءلون عن أسبابها وطرق حدوثها ودور الأنظمة العربية التي أوهمت الناس وأسكنتهم في الخيال البعيد.

يقول أيو أيمن طه: «ظهر كذب السلطة المصرية والأنظمة العربية الأخرى بعد الهزيمة وهذا جعل الناس مستعدون للاستماع إلى وجهات نظر أخرى إذ أن ثقة الناس التي فقدوها من هول الصدمة بدأت لتعود مرة أخرى من جديد..

وأصبحت الدعايات التي ذكرها عبد الناصر عن الإخوان تحت الفحص الجماهيري وخاصة بعد أن أكدت الوقائع أن الأنظمة العربية تعيش على الكذب والتدجيل أكثر من أي شيء أخرى» ويضيف «توقع الناس أنه بمجرد حدوث الاحتلال يكون شباب الحركة الإسلامية مع الاحتلال في خندق واحد لأنه كان في الأذهان أنهم عملاء وهم ينتظرون مجيء أحبابهم ولكن اتضحت الحقيقة والحمد لله أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن هذه الافتراءات»<sup>(١٢)</sup>.

هكذا زاد الإقبال على المساجد وعلى الحلقات الإخوانية والدروس والمواعظ التي كانت تلتقي هنا وهناك وقد ساعد على ذلك وجود رجال مخلصون لله ولدعوتهم ولشعبهم.

تركز نشاط الشيخ في معظمه في معسكر الشاطيء الذي شكل مركزية العمل للدعوة الإسلامية في القطاع وفي هذه الآونة كان مسجد العباس القريب من المعسكر قد تم إكمال بناؤه إذ بدأ البناء فيه قبل الحرب وانتهى بعد الحرب وكان المسجد بحاجة إلى خطيب إذ كان يخطب فيه أفراد مختلفون من ضمنهم الشيخ أحمد ياسين.

إلا أن خطبة الشيخ أحمد كان متميزة عن غيرها إذ كان دائماً يضعها لتخدم أغراض دعوته وتطورت هذه الخطبة لتمس حياة الناس ومشاكلهم والمواقف من الأحداث وهذا أمر لم يعهده الناس في خطباء المساجد الذين كانوا يحصرهم أنفسهم في مسائل فقهية صرفة لا تتعدها، يقول الأستاذ محمد شمعة: «كان يحضر الكثير من الناس كي يستمعوا إليه لأن خطبته كانت نمطاً جديداً غير معهود في الخطب التقليدية للمشايخ بل كان يطرح كثيراً من القضايا التي كانت موضع اهتمام الشباب فكان مثلاً يطرح قضية الإسلام بمفهومه الحركي»<sup>(١٣)</sup>.

وقد كان يعطي الشيخ في مسجد العباس درساً بعد صلاة الجمعة درس يجلس فيه الشباب في حلقة يسألونه ويستفسرون منه وكانت الحلقة تستقطب الكثير ويأتي إلى المسجد الكثير من الناس من أماكن مختلفة للتعرف عليه والسماع منه.

في هذه الحلقات وما شابهها التي كان يحضرها إخوانه من الشباب كان ينتقي أفراد التنظيم الإخواني بدقة ولم يكن هذا الاختيار تعسفياً ولكن كان يتم بعد دراسة جيدة لأخلاقيات الشباب، ونظافتهم السلوكية والأمنية وكان الضم يتم بعد أن يمر الشخص الجديد بدورات يحفظ فيها أجزاء معينة من القرآن وأحاديث نبوية بقدر معين على أيدي شباب الحركة ثم يعرض بعد ذلك على الشيخ الذي يكمل مشواره ويضمه في النهاية للإخوان.

وفي كثير من الأحيان كان الشيخ يوصي أن يعتنى بأشخاص معينين إلى أن يتم تنظيمهم أي أن التنظيم كان يبدأ أحياناً بالشيخ وكان ينتهي به أحياناً أخرى<sup>(١٤)</sup>.

### المكتبة الإسلامية

افتقرت المساجد حتى عام ١٩٦٨م إلى مكتبات فكانت تحوي فقط المصاحف التي توضع على الرفوف بدون أن تجذب اهتمامه أحد وكان الكتاب لم يأخذ دوره في الدعوة حتى تلك المرحلة، إلا أن خطابة الشيخ في مسجد العباس دفعه للاهتمام بذلك، وكانت أنشئت بالقرب من المسجد مكتبة النور والأمل التي كانت تشرف عليها أجهزة التبشير المسيحية ولم يكن يرتادها إلا الشباب المسلم وأدرك أن المراد من هذه المكتبة هو الدخول إلى عقول وقلوب الشباب المسلم من خلال الكتاب، لذلك بدأ يدعو الناس إلى اقتناء الكتب الإسلامية ودراستها ويقول الأستاذ محمد شمعة لقد شكلت الدعوة إلى إنشاء مكتبات جزء من الدعوة الإسلامية التي تميز بها الشيخ، «وأذكر أنه قد قام خطيباً في مسجد العباس وقال للناس ألا تنظرون ما يقوم به المسيحيون إنهم يريدون أن يستقطبوا الشباب المسلم عن طريق الكتاب والمكتبات ونشر فكرهم التبشيري الفاسد بحجة الاطلاع والدراسة» وطالب الناس أن يأخذوا دورهم في هذا العمل ولا يكتفوا بالاستنكار وطالب الجالسين بأن يتبرع كل واحد منهم بكتاب على أن يحضره قبل الجمعة المقبلة.

وكانت تجاوب الناس رائعاً إذ أنه ما إن حضر الأسبوع التالي حتى كان في

المسجد مكتبة ممتازة تحوي شتى العلوم وتنامت هذه المكتبة حتى أصبحت مركزاً علمياً يتردد عليه الشباب المسلم وأصبحت مركزاً لإعطاء دروس التقوية في مختلف المجالات ولشتى فصول الدراسة بعد أن فصلت المكتبة لوحدها.

وأخذ الشيخ بالتعاون مع إخوانه في طباعة كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب في كتيبات صغيرة ويقوم بتوزيعها على المصلين حتى يطلع الناس على الإسلام وتفسير قرآنهم العظيم وبدأ بعض الشباب في شراء وبيع الكتب بالقرب من أبواب المساجد وإيجاد الكتب لتكون قريبة من متناول أيدي المصلين الأمر الذي دفع الكثير من الناس لاقتناء الكتب ونشر الفكر الإسلامي المنظم في عقول النشء والمجتمع.

كان الشيخ أحمد القدوة تقريباً في كل ما يقول ويفعل وكثيراً ما كان يعلم الشباب المسلم الصبر والأناة والعطاء لأنه أدرك أنه بدون هذه الصفات فإنهم لا بد وأن يفشلوا لأن الناس الذين تربوا على موائد الكذب العريية والفساد والسياسات الفارغة والبهرجات الإعلامية الطنانة كانوا يحتاجون إلى وقت كبير للتحويل، من هنا كان يوصي إخوانه بقوله: «علينا أن نصبر لأن الإسلام سيأتي وسينتصر لأن النصر للإسلام وإذا ما صبرنا ودعونا الله سبحانه وتعالى وبذلنا جهدنا للعمل فإن مشوارنا سيكون أقصر»<sup>(١٥)</sup> وكان يقول «لا بد وأن تجعل من نفسك الشمعة التي تضيء وتحترق من أجل هداية الناس».

وجعل الشيخ كلمة لا إله إلا الله استراتيجية الدعوة التي قادها فقد كانت الأساس وإعلائها والارتفاع بها كانت الوظيفة التي كان على كل شاب مسلم أن يعمل لها<sup>(١٦)</sup>.

### الصدام الأول مع سلطة الاحتلال الإسرائيلي

في هذه المرحلة كانت العمليات الفدائية في القطاع والأراضي المحتلة الأخرى قوية وجدت في معسكر الشاطيء مشكلة أمنية دفعت سلطات الاحتلال العسكرية إلى تطويق معسكر الشاطيء لمدة زادت عن الشهر وارتكبت في تلك

المرحلة أبشع التصرفات ضد الناس من سكان المخيم من ضرب للشباب وتجويع للناس وإهانتهم وإذلالهم، مع ذلك فإن الاهتمام بما يجري في المعسكر في أوساط الناس لم يزد عن التأثير لما يجري لإخوانهم هناك بدون المبادرة إلى عمل شيء من شأنه أن يقلل معاناتهم ويخفف عنهم ما هم فيه، فقام الشيخ باعتلاء المنبر في يوم جمعة وخطب في الناس خطبة حماسية أثارت نفوسهم ودفعتهم للتظاهر ضد ما يجري في المعسكر وخرج الناس من مسجد العباس في مظاهرة نحو مقر الصليب الأحمر تنادي برفع الحصار عن معسكر الشاطيء والمساح للناس بإدخال الأكل للجوعى من الأطفال والنساء.

كان لهذه المظاهرة أثرها المباشر إذ لم تمض إلا ثلاثة أيام حتى كان الطوق الأمني مرفوعاً عن المعسكر لأن سلطات الاحتلال لم ترد لهذه المظاهرات أن تنتشر وتعكر صفو الأمن بشكل أكثر مما كان عليه الحال سابقاً على أثر ذلك استدعت سلطات الأمن الشيخ أحمد ياسين وحذرتة من القيام بمثل هذه المظاهرة التي قام بها سابقاً واستدعى ضابط المخابرات الشيخ أحمد وسأله عن المظاهرات التي قامت من مسجد العباس، فرد الشيخ أنه فعل أمر واجب فعله وأن كيل الناس قد طفح وهم يرون إخوتهم يسجون تحت السياج في معسكر الشاطيء فرد عليه الضابط: «أود أن أنصحك نصيحة عليك أن تأخذ بها فسأل الشيخ: ما تلك النصيحة؟ فقال له: لسانك حصانك إن صنته صانك وإن خنته خانك» فرد عليه الشيخ هذا ما أعرفه تماماً<sup>(١٧)</sup>.

وأوعزت إلى الأوقاف برد الشيخ أحمد من مسجد العباس فطرد من هناك لينتقل إلى المسجد الشمالي ويعود حيث كان ووضع مكانه الشيخ أحمد عبد الرازق.

### مسجد قباء

خطابة الشيخ أحمد في مسجد العباس دفعته للتعرف على وجوه جديدة وشخصيات غير تلك التي عرفها في معسكر الشاطيء إذ أن موقع مسجد



العباس في المناطق التي يسكنها أغنياء المدينة والميسورون والمؤثرون في المجتمع الغزي وهذا فتح آفاق جديدة لعلاقات الشيخ الاجتماعية وقد أغرى أسلوب الشيخ في الخطابة الكثير من الشباب للحضور إلى مسجده فيقول الشيخ أحمد دلول «كنا نأتي لسماع الخطبة من مسافة بعيدة فقد كنا نركب سيارة ونحضر خصيصاً لسماع خطبة الجمعة في مسجد العباس وكنا نحضر دروس الشيخ ثم تعرفنا عليه عن قرب وأردنا أن يكون الشيخ من نصيب منطقتنا، لذلك قمنا بشراء قطعة في جورة الشمس من السيد جميل حسنية الذي طلبنا منه أيضاً التبرع بدونم لبناء مسجد في المكان وتعاهدنا أنا وإخوتي وأولاد عبد العال مصطفى وعمر ونمر على أن نحصر البيع في هذه المنطقة في العائلات الطيبة المتدينة وذلك حتى نوفر الجيرة المسلمة وفعلاً طبقنا هذا المبدأ أربع سنوات إذ كلما أراد أحد أن يشتري قطعة أرض مجاورة لنا وهو غير مرغوب فيه بالنسبة لنا نقوم نحن بشراء أرضه وبيعها لأشخاص طيبين.

علاقتنا بالشيخ أحمد دفعتنا للتفكير بإحضاره إلى المنطقة فذهبنا إليه وعرضنا الموضوع عليه وقلنا له: إن المكان جيد ورخيص إذ الدونم كان ثمنه ٤٢ ألف ليرة إسرائيلية ولكنه رفض لأنه لا يملك المبلغ المطلوب إلا أننا رغبناه وقلنا له اعزم واترك الباقي على الله وسنتعاون معاً وتجاوب معنا فاشترينا له قطعة الأرض وتعاوننا في بناء بيت صغير بسيط عليه في نفس المكان»<sup>(١٨)</sup>.

يقول أخيه أبو نسيم: «كان لنا قطعة أرض في منطقة نصر فقمنا ببيعها واقترض مني الشيخ ألفي ليرة وكان هذا المبلغ هو مقدمة الثمن الذي دفعه للمكان الذي اشتراه»<sup>(١٩)</sup> في جورة الشمس.

انتقل الشيخ إلى بيته الجديد في جورة الشمس عام ١٩٧٣م تقريباً وكان وضعه الاقتصادي حرجاً للغاية لدرجة دفعت أحد إخوته أن يدفع له بعضاً من المال لإعانتته على وضعه فرفض قائلاً: «أنا لا أستحق الزكاة».

وبعدها عندما أرادت والدته الحج قام إخوته بدفع نفقات الحجة على الرغم من أنها كانت تسكن عنده أي عند الشيخ أحمد وشعر الشيخ بحرج شديد وعندما

تيسر حاله المادي قليلاً جاء إلى إخوته ليدفع النصيب فرفض إخوته ذلك وقالوا له: اسأل والدتك ماذا تريد أن تشتري بالمبلغ الذي تود دفعه فقالت الوالدة أنها تريد شراء «مجيدية» وهي قطعة ذهب تعلق على الرأس في «الوقاة» التي كانت تعد غطاء رأس تقليدي للنساء العجائز وفعلاً قام بشرائها»<sup>(٢٠)</sup>.

كانت زوجته تقدر الوضع الذي يعيشه زوجها وكانت تعلم أن مرتبه البسيط لمدرس يحمل شهادة الثانوية العامة لن يكفي، لذلك كانت دائماً تحاول تقديم العون للعائلة بتربيتها الدجاج والحمام والماعز وتقوم ببيع نتاج هذه الطيور والماشية وتنفق منها على العائلة في حالة غياب الشيخ أو في حالة وجوده.

لذلك فإذا دخل أحد الدار في هذه المرحلة أو في السابق كان يرى الدجاج يسرح ويمرح في ساحة الدار والأغلب أن الشيخ لم يضايقه ذلك على الرغم من زواره الكثر في بيته إذ أنه يدري أن هذا الوضع هو نمط من حياة الفقر التي يعيشها قطاع كبير من سكان القطاع والذين هم بحاجة إلى إعالة وعون ماديين وفي أحد المرات اشتكى له أخوه أبو نسيم من أنه يجب أن يوفر من دخله شيئاً «للعازة» أي لوقت الضيق وأن على زوجته أن تمسك يدها قليلاً فأجاب قائلاً: «يا أخي المدخول قليل ولا مجال للإدخار ويادوب على قد الأكل والشرب»<sup>(٢١)</sup>.

كان الشيخ يقدم الأكل والشراب لزواره على حسابه الخاص وعندما عرض إخوانه تقديم بعض الإعانات له تيسيراً عليه رفض مؤكداً أن الحال مستور وأنه يطلب الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى.

شكل إكمال بناء مسجد قباء تحداً أمام الشيخ وصحبه خاصة وأن البناء الأول للمسجد كان صغيراً جداً وبسيطاً الأمر الذي دفع صاحب الأرض أن يعيد حساباته فتراجع عن قطعة الأرض الكبيرة التي وهبها للمسجد ووصل هذا الأمر للشيخ أحمد دلول الذي نقله بدوره إلى الشيخ أحمد ياسين فقرروا زيارة جميل حسنيه صاحب قطعة الأرض والضغط عليه حتى يبقى عنده وعده بخصوص المسجد.

وفعلاً انطلق وفد مكون من الشيخ أحمد ياسين وأحمد دلول ومصطفى عبد

العال ووجوه الحي فتحدث أحمد دلول عن أن السيد مصطفى حسنيه قد تبرع بدونم للمسجد وهذا كرم منه وهو يريد أن يقلل هذه المساحة وهذا تقليل من الأجر من الله سبحانه وتعالى وأعاد الرجاء للسيد جميل حسنيه أن يبقى على وعده القديم فعاد الرجل إلى ما كان قد وعد به وحتى تقطع الطريق أمام الرجل لتلايتراجع قام كل واحد من الحاضرين بالتبرع بمبلغ ٥٠٠ ليرة إسرائيلي وهذا مبلغ محترم في ذلك الوقت ليكون المبلغ المجموع نواة بناء المسجد وكانت هذه أول حملة منظمة لجمع التبرعات للمسجد، إذ كانت سابقاً قد كرسست جهود فردية من أحمد دلول ومصطفى عبد العال وعمر عبد العال والشيخ سليم شراب رحمه الله ولكن هذه لم تسفر إلا عن البناء البسيط الذي كان عليه المسجد قبل الشروع ببنائه الحديث<sup>(٢٢)</sup>.

ثم بعد ذلك شكلت لجنة خاصة لجمع التبرعات بأسلوب منظم لبناء المسجد واختير الشيخ أحمد ياسين رئيساً للجمعية<sup>(٢٣)</sup>.  
لقد أراد أبناء الحي لهذا المسجد أن يكون نواة جامعة إسلامية على غرار الجامعة الإسلامية بالسعودية كما يذكر الشيخ أحمد دلول وذلك لإحياء الإسلام ونشره بين الناس، لذلك كان إصرارهم على صاحب الأرض أن تظل قطعة الأرض كبيرة.

## مراجع الفصل الثالث

(١) مقابلة مع أبي أيمن طه.

(٢) نفس المقابلة.

(٣) سبق القول أن اسماعيل الخالدي هو الذي رأس الجماعة في هذه المرحلة ولكن يبدو أن معلومات الأستاذ داود هي الأدق وأن رياض الزعنون هو المسؤول حتى عام ١٩٦٥م.

(٤) مقابلة مع الأستاذ داود أبو خاطر ١٢/٨/١٩٩٠م.

(٥) حماد الحسنات، اللقاء السابق.

(٦) الأستاذ داود أبو خاطر اللقاء السابق.

(٧) المرجع السابق.

(٨) أوراق الأستاذ حماد الحسنات السابقة الذكر.

(٩) مقابلة مع الأستاذ داود أبو خاطر ١٣/٨/١٩٩٠م.

(١٠) مقابلة مع الأستاذ أحمد بحر، سبق ذكرها.

(١١) أوراق أبو خالد الحسنات السابقة الذكر.

(١٢) مقابلة مع الأستاذ أبو أيمن طه.

(١٣) مقابلة مع الأستاذ محمد شمعه، ٣٠/٧/١٩٩٠م.

(١٤) المقابلة السابقة.

(١٥) مقابلة مع الأستاذ أحمد بحر.

(١٦) المقابلة السابقة.

(١٧) مقابلة مع الأستاذ محمد شمعه، سبق ذكرها.

(١٨) مقابلة مع الشيخ أحمد دلول يوم ١٢/٨/١٩٩٠م.

(١٩) مقابلة مع أبو نسيم ٢٤/٧/١٩٩٠م.

(٢٠) المقابلة السابقة.

(٢١) المقابلة السابقة.

(٢٢) مقابلة مع الشيخ أحمد دلول، سبق ذكرها.

(٢٣) مقابلة أحمد دلول.